

أما بالنسبة لمجموعة البلدان النامية المستوردة للنفط فهي بسبب مآتانيه من أزمات حادة بفعل سياسات البلدان المتقدمة صناعيا. لازال أثرها صغيرا على مسرح النفط باستثناء مجموعة شرقي آسيا. هذا وقد احتوى الكتاب على جداول قيمة تهم الباحثين والمهتمين في موضوعات الطاقة وموازن المدفوعات علاوة على مراجع ذات أهمية بالغة.

وبشكل عام يعد الكتاب سجلا إحصائيا تحليليا للمتغيرات والمؤثرات الجارية على الساحة الطاقوية. إلا أن ما يؤخذ على المؤلف هو كثيفه الشديد أحيانا للمعلومات المراد بحثها مما يؤدي إلى فقدان القيمة الجوهرية للموضوع. علاوة على إغفاله دور منظمة الأوبك في الحفاظ على استقرار السوق النفطي ومجهوداتها التنظيمية في مجال الاستثمارات النفطية وأبحاث الطاقة، وذلك باعتقادي لا يقلل من أهمية الكتاب وقيمتها العلمية في الظروف الراهنة.

مراجعة: عبد الجبار عبود الحلبي

مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة - العراق.

التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني. بيروت، دار أقرأ، ط ١، ١٩٨٤م، ٥٦٠ صفحة.

شهد القرنان الثامن والتاسع من الهجرة نبوغ الكثيرين من أعلام الثقافة والفكر في العالم الاسلامي، وكان من بينهم المؤرخون الذين اكتسبوا مكانة فائقة بين المسهمين في الفكر المشككين لمادته. لكن تأخرت طويلا العناية بدراسة هذا التراث على أسس منهجية قائمة على النظرة العلمية المتأنية، القائمة على العمق والتقصي والنقد، نتيجة لحظا شائع مفاده أن نتاج هذين القرنين ليس الا كتابات تتمثل في الشروح والمختصرات، أو الجمع التأليفي (الموسوعي) الخالي من الابتكار والجدة، سواء في المادة أو في المنهج.

وفي سبيل رد هذا الادعاء الخاطيء والافصاح عن الأصالة والجدة في مثل تلك المؤلفات، وتقديم مادة تاريخية متأصلة يعتمد عليها الباحثون في البناء التاريخي فانه قد اتجه الرأي لدى مؤلف هذه الدراسة إلى اتخاذ «إنشاء الغمر بأبناء العمر» للمؤرخ المصري «شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني» موضوعا لها، معللا لذلك بقوله: «... أما الكتاب، فلأنه يعد من بين مؤلفاته التاريخية الكتاب الوحيد الجامع للحوادث والتراجم المعاصرة في حيز الحولية الواحدة، ولكونه معاصرا لمادته، مدركا للكثير منها. وأما المؤرخ، فلأنه علم من أبرز علماء عصره، الذين اتسعت معارفهم وتخصصاتهم فدخلوا في نطاق الموسوعيين (أصحاب الجمع التأليفي) إذا ما ضم تراثهم الذي خلفوه بعضه الى بعض، فلقد أسهم في التاريخ والأدب والشعر والحديث والفقه والتفسير. ودخل في نطاق المؤرخين الأدباء والشعراء والمحدثين والفقهاء والمفسرين قياسا بما خلف من دراسات - في كل - قائمة على الأصالة والعمق.

لكن نتيجة لغلبة جانب المحدث لدى ابن حجر على غيره من الجوانب التي نبغ فيها فإن الكثيرين ممن عنوانوا مؤرخا - بالتعريف بالحركة الفكرية في ظل الدولة المملوكية قد أثبتوه في جانب المحدثين، إهمالا له في جانب المؤرخين، فإن تيسر لهم تقديم كلمة عاجلة للتعريف به، فإنه يأتي في ظل المقرئ في أو في طيات الحديث عنه باعتباره معاصرا لأحد شوامخ التأريخ في مصر. وهو مالا يراه المؤلف.

ولذا أتت هذه الدراسة وقد أنقسمت إلى باين اثنين بخلاف المقدمة والخاتمة. أما المقدمة، ففي التعريف بموضوعه، ودافعه لاختياره، ومنهج الدراسة لديه، بالإضافة الى تحليل مستفيض لمصادره.

وأما الباب الأول وعنوانه: «ابن حجر العسقلاني: دراسة حياة»، فقد اشتمل على الترجمة لابن حجر العسقلاني من خلال تمهيد وثمانية فصول.

وخصص التمهيد للعرض الموجز لعصر «ابن حجر» وبيئته: سياسيا واقتصاديا وفكريا وأديبا. . بهدف التعريف بالدولة المملوكية على وقته، لكونها البيئة التي أثرت فيه وفي كتاباته التاريخية سلبا وإيجابا.

وأما الفصول الثمانية، فقد اشتمل الأول منها على نشأته وتكوينه، من حيث اسمه ولقبه وكنيته ونسبه وأهله ومذهبه ومولده ويتمه وكفالاته وعناية الأوصياء عليه بتعليمه، والارهاصات الأولى لتكوينه الفكري وتثقيفه الذاتي، حيث وضع من خلال هذه الدراسة اتجاه ابن حجر إلى الاختصاص بالعلم، فالتخصص فيه.

بينما خصص الفصل الثاني لحالته الاجتماعية حيث أشار فيه إلى زوجاته وأولاده وسبطه وعلاقاته بهم سلبا وإيجابا، وكيف كان صابرا على فقد بعضهم بالوفاة أو امتحانه في ولده.

واشتمل الفصل الثالث على مرضه ووفاته، وما تبع ذلك من تكريم له لدى العامة فضلا عن الخاصة.

وأجمل في الفصل الرابع مقومات شخصيته ذاكرا بعض صفاته الخلقية والخلقية من تواضع مع معرفة بقدر نفسه، وضبط للسانه وكظم غيظه، وتحريه في المأكّل والمشرب، وبر وتصديق، وإكثار من العبادات وعدم تخلية الوقت منها، وموضوعية وإنصاف في البحث.

وتناول الفصل الخامس دراسة موجزة لأبرز شيوخه وأساتذته - الذين لازمهم وتردد عليهم أكثر من غيرهم وانتفع بهم - حسب تنويه ابن حجر وتلميذه السخاوي بهم، حيث ترجمهم بإيجاز وأبان عن العلوم أو الفنون التي حصلها ابن حجر عنهم.

وأشار في الفصل الخامس إلى رحلاته داخل القطر المصري وخارجه، حيث دفعته رغبته في تحصيل المعارف إلى عدم الاكتفاء بتحصيل العلم وجمع شتات المعرفة في مصر والقاهرة وحدهما، ولذا أنساح في أرض الله طلبا لذلك، فعرفت له رحلات إلى الصعيد، والاسكندرية، واليمن، والحجاز، والشام.

بينما خصص الفصل السابع للتحديث عن وظائفه ومجتهوداته العلمية، حيث مجالس إملاته، وتدرسه، وتوليّه لمنصبي إفتاء دار العدل والقضاء، مما وفر له الاتصال المباشر بمجتمعه عن طرقها، فانعكس ذلك على مؤلفاته التاريخية.

أما الفصل الثامن الأخير، فقد خصص لبيان علاقاته بشخصيات عصره، سواء كانوا من الشيوخ والأساتذة أو الأقران والصاحب، أو الطلبة والتلاميذ.

على حين أتى الباب الثاني وعنوانه: «منهج ابن حجر في كتابه الأنباء» في فصول ستة هدفت الى توضيح القيمة العلمية للكتاب وتيسير الانتفاع به.

فاشتمل الفصل الأول منها على دراسة الخطة العامة للكتاب (إنباء الغمر) مشيرا الى أهميته الكامنة في كونه الكتاب الوحيد الذي اشتمل على الحوادث والترجمات، وكان ابن حجر معاصرا لحيزه الزماني، ، مدركا للكثير من حوادثه، ومخالطا لمعظم المترجمين لديه فيه، وكذا الافصاح عن حال تدوينه له وفراغه منه، وتعديله للكتاب بالحذف أو بالإضافة وتركه له مسودة لم تكتمل بعد، والتعريف بعنوانه. ، ونسخه المخطوطة والمطبوعة مقارنا بينها للتعرف على ميزاتها، وكذا الافصاح عن النسق الفني والتعبيري «للأنباء» مشيرا في الأول منها إلى تجزئ الكتاب لدى مؤلفه وعدم التزام النساخ والمحققين لذلك، وفي الثاني الى مميزات أسلوبه من: فصاحة اللفظ ومعجميته، وتخيّر أساليبه وبلاغته،

وتضمنه للعبارات البليغة الشائعة الاستعمال لدى كتاب العصر، أو توارد الاصطلاحات والتعبيرات المعروفة لعصره، وتأثره بالقرآن الكريم والافتباس منه، مع الاعتناء بتضمين الحوادث كثيرا من الشواهد الشعرية سواء كانت من انشاده أو من مروياته عن غيره، والابتعاد عن السجع والتكلف، واستعمال للمختصرات في الحوادث والترجمات، والمزاوجة في تدوين التواريخ بين الأرقام والحروف، وضبط الأسماء بالحروف والشكل، والافصاح عن رأيه وانفعالاته وألفاظ سافرة..

بينما خصص الفصل الثاني لدراسة طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته، وقد درست فيه موضوعات هي: طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها، طبيعة التراجم وأسس انتقاء مادتها. مذبلا عليها بدراسة موضوع التوازن الزمني بين الحوادث والترجمات.

أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة العلاقة بين الترجمات والحوادث في الانباء مشيرا الى أن هذه العلاقة فيه لم تأت عفوية أو ارتجالية، وإنما كانت أصبع «ابن حجر» من ورائها، معددا لشواهدا ومجالاتها.

واختص الفصل الرابع بدراسة «مصادر الانباء» مرتكزا على محاور هي:

أنواع المصادر - الاستناد الى المصادر - طرق النقل.

أما الفصل الخامس فقد خصص للنقد التاريخي والأدبي في «الانباء» دارسا فيه الموضوعات الآتية. - اعتناء «ابن حجر» بالنقد التاريخي ودواعيه، وما جره عليه هذا المسلك الناقد في الكتابات التاريخية من عداوة ومشاحنات.

- منهجه كما يبدو في الانباء وفي إحدى فتاويه.

- الجانب التطبيقي لهذا المنهج النقدي في مجالات: نقد الرجال فيما يعرف بالجرح والتعديل، إصدار الأحكام التقاويم، نقد الحوادث، الشواهد الشعرية ودورها في تفسير الخبر ونقده.

- الخطأ والصواب في النقد ودوافعه.

- التعصب والانصاف في النقد.

أما الفصل السادس فقد خصص للعلاقة بين أنباء الغمر والمؤلفات التاريخية الأخرى لابن حجر المعاصرة للحيز الزمني للانباء، وتمثل في الدراسة المقارنة بين معطيات هذه الدراسة المثبتة في الفصول السابقة وبين عناصر مادة تلك المؤلفات بهدف تقرير المنهج لدى «ابن حجر» وتأصيله. ولذا اشتمل على دراسة للدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والذيل عليه، والمجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ورفع الاصر عن قضاة مصر، باعتبار أن فكر المؤرخ الواحد لا يمكن تجزئته، وباعتبار أن تلك المؤلفات تمثل مصادر أصيلة وأساسية للتأريخ لعصره.

أما الخاتمة فهي تلخيص لأهم معطيات البحث ونتائجه.

هذا هو محتوى هذه الدراسة القيمة عن ابن حجر ومنهجه في الكتابة التاريخية، وقد أوردته في أقتضاب، وتبقى لنا بعض ملحوظات عليها هي:

أولا كثرة الأخطاء المطبعية الشائعة في جوانب الكتاب، والتي قاربت تقريبا عدد صفحاته مما يشير إلى إهمال مؤلفه في تصحيح بروفات طباعته، أو عدم اطلاعه كلية عليها.

ثانيا طول الحواشي في كثير من الصفحات، بل الفصول، الى الحد الذي أغرق المعلومات الواردة في المتن في الكثير من التفاصيل، بحيث يمكن القول بأن الفائدة المنشودة من هذه الدراسة لا يمكن أن تتأتى للقارئ العادي الا بقراءة المتن مرة، وقراءة المتن مع حواشيه مرة أخرى، ولعل هذا عيب في الصياغة والتدوين.

ثالثا الاكثار من الأمثلة المستشهد بها في المتن مما يقطع التسلسل الفكري بين عناصر الموضوع الواحد، وهو ما يلمس بكل جلاء في الفصلين المعقودين للعلاقة بين التراجم والحوادث، والمصادر.

رابعاً تقديم بعض الفصول التي كان من الأصوب تأخيرها، إذ كيف يكون الفصل الثالث من الباب الأول مخصصاً لمرض ابن حجر ووفاته» بينما قد خصص الذي يليه لمقومات شخصيته، فشيوعه وأساتذته، ووظائفه ومجهوداته العلمية، وعلاقاته بشخصيات عصره. . ألم يكن من الأفضل أن يتأخر هذا الفصل إلى نهاية هذا الباب؟ اللهم إلا إذا كان هدف مؤلفه من ذلك الفصل بين شخصيتين عاشهما ابن حجر، هما: ابن حجر صاحب الحياة المشاكلة لكل حياة، وابن حجر الشخصية المتميزة بعلمها ووظائفها وعلاقاتها في عصرها.

خامساً لعله يكون من الأفضل لو لم تقتصر هذه الدراسة على «ابناء العمر» في بيان منهج ابن حجر في الكتابة التاريخية، وتعتمد إلى رصد هذا المنهج ودرسه من خلال مؤلفاته التاريخية الأخرى «كالدرر الكامنة والذيل عليها، ورفع الاصر. .» مما أتى في هذا المؤلف على الهامش من هذه العلاقة في آخر فصول الباب الثاني.

مراجعة : محمد كمال الدين عز الدين علي

كلية البنات - جامعة عين شمس

N. Ahmed, UNIVERSITY LIBRARY PRECTCES IN DEVELOPING COUNTRIES, Rout-Ledge & Kegan Paul, London, 1985, PP. 207.

نظير احمد ، المكتبات الجامعية في الاقطار النامية ، روليدج كيغان ، لندن ، ١٩٨٥ ، ٢٠٧ صفحات .

لعبت المكتبات دوراً رئيسياً في نمو وازدهار الحضارات القديمة . كما أنها لا تزال تلعب دوراً كبيراً في إخصاب الحياة الفكرية في المجتمعات الحديثة والمعاصرة . وعلى مر العصور فقد كان هناك علاقة قوية بين تأسيس المكتبات وقيام الحضارات . فقد ازدهرت المكتبات وقامت بدور فعال عندما كانت الحضارات في أوج قمتها وعظمتها ، كما أن دورها قل أو اندثر تماماً عندما انهارت تلك الحضارات وتلاشت .

لأنظن أننا نبالغ إذا قلنا بأن الحضارة العربية الإسلامية كانت فريدة من نوعها من حيث اهتمامها وتقديرها للكتاب كمصدر للعلم والمعرفة وللمكتبة باعتبارها مركزاً للبحث والدراسة . تدلنا المصادر التاريخية أن الحياة الثقافية بلغت أوجها في العصر العباسي الأول . ومن مظاهر ذلك تسابق الخلفاء والأمراء والأغنياء والأثقياء في تجميع الكتب وتأسيس المكتبات ومراكز البحث والدراسة . عرف المجتمع الإسلامي أنواعاً مختلفة من المكتبات ، فكانت هناك المكتبات الخاصة في بيوت الخلفاء والوزراء والعلماء والمكتبات العامة في المدن والمكتبات الملحقة بالمساجد وكذلك المكتبات المدرسية .

يتناول المؤلف ، وهو أستاذ علم المكتبات المساعد بجامعة الملك عبد العزيز في جدة ، في كتابه موضوع المراجعة وضع المكتبات الجامعية في ثمانية من الأقطار العربية والإسلامية : نيجيريا ، مليزيا ، باكستان ، الأردن ، الكويت ، قطر ، السعودية ، والسودان .

يقع الكتاب في سبعة فصول يتناول فيها المؤلف بالعرض والتحليل الجوانب المختلفة للمكتبة الجامعية والوظائف التي تؤديها . كما يتعرض المؤلف لأهداف ووظائف المكتبة الجامعية وتنظيمها وإدارتها وحجم المجموعات